

"رؤية العالم": مفهومها وعناصرها وأثرها على أزمة المعرفة عند "سيد محمد نقيب العتاس"

د. ضرار الماحي العبيد*

مقدمة

تعتبر رؤية العالم واحدة من قضايا الفكر الإنساني المعاصر الذي آمن بالعلم وما أحدثه من تقنيات في كل المجالات الحياتية، وهذا يمثل شكلاً من أشكال التفكير الإنساني الذي بدأ مع بداية الخلق. بدأت فكرة رؤية العالم تأخذ موقعاً مركزياً ومهماً بين اهتمامات المفكرين المسلمين، خاصة أولئك المهتمين بقضايا أسلمة المعرفة والعلوم.

وقد شاع تعبير "رؤية العالم" في العقود الأخيرة من الألفية السابقة في جميع الكتابات التي تتعلق بالأسئلة الكبرى في الدين والفلسفة والعلوم، حتى أصبح مفهوماً مفتاحياً في فهم جوهر النشاط العلمي؛ إذ يقوم هذا المفهوم بدور حاسم في الممارسة العلمية، ويتداخل مفهوم رؤية العالم في مختلف حقول المعرفة المتمثلة في الدين، والفلسفة، والعلوم الاجتماعية والطبيعية، والفنون، والعلوم التطبيقية.

أما أصل هذا المصطلح في الأدبيات المعاصرة فإنه يعود إلى "إيمانويل كانط" (1724-1804م)، حيث استخدم المصطلح بالألمانية *Weltanschauung*، ليقصد به قوة العقل البشري على الإدراك الحسي.¹ لكن استخدامه على نطاق واسع وبصورة تشير إلى الدلالات المعاصرة ينسب إلى الألماني وليلهام دلثاي (1833-1911) *Welhelm Dilthy*؛ فالرؤية الكونية أو رؤية العالم مصطلح بدأ في الفلسفة الألمانية ليدل على مفهوم أساس مستخدم في هذه الفلسفة، ويشير إلى طريقة "الإحساس وفهم العالم بأكمله" *perception wide world*، بالتالي يمثل الإطار الذي يقوم من خلاله كل فرد بتفسير العالم المحيط والتفاعل معه ومع مكوناته، و"كل رؤية للعالم *Worldview* تحوي داخلها ميتافيزيقا (أي أنطولوجيا وإبستمولوجيا) كما يرى بعضهم أن الإبستمولوجيا تعني (رؤية العالم).²

بالإضافة إلى ذلك فإن وظيفة رؤية العالم في الأساس هي تزويد الباحثين بالإطار العام الذي يتم به فهم كل شيء ونفهم أنفسنا أيضاً، وجعل فهمنا ضمن كلٍ موحد، فكلما حاولنا أن نكون فهما معيناً أو نصوغ نظرية لتفسير شيء ما، فإننا بالضرورة وبطبيعة عمل العقل نستخدم رؤيتنا للعالم، ولذلك فإن وظيفة رؤية العالم هي وظيفة معرفية، وهي الأساس لأية نظرية معرفية وأي جهد لاكتسابها أو توظيفها.³

و"رؤية العالم" أو "الصورة الكونية" تستند إلى مستويين: الأول يؤلف الكتلة الأساسية للمعتقدات والمسلّمات الافتراضية عن العالم الحقيقي الواقعي، والتي يمكن في ضوئها الوصول إلى إجابات شافية عن التساؤلات حول مغزى الكون

* أستاذ مساعد بمعهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة.

¹ Kant, Emanuel, Critique of Judgement, Translated by Werner, S. Pluhar. Indianapolis, Hachet, 1987.

² عبد الوهاب المسيري، في أهمية الدرس المعرفي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 20، 2000، ص: 112

³ فتحي حسن ملكاوي، رؤية العالم عند عبد الرحمن بن خلدون، ورقة قدمت إلى ندوة البعد الديني ومنزلته في تجربة ابن خلدون الفكرية التي نظمتها جامعة الزيتونة التونسية، تونس، فبراير، 2006.

والوجود، ويتعلق المستوى الثاني بالسياق التصوري - الواعي والإرادي - الذي تضع فيه الذات الجمعية نفسها ضمن تقسيمات العالم الواقعية أو المركبة من النواحي الثقافية في الأصل، لكن أيضاً من النواحي الأخلاقية والاجتماعية والسياسية⁴.

الهدف من البحث

يهدف البحث إلى استعراض إسهامات المفكر الإسلامي سيد محمد نقيب العطاس خاصة فيما يتعلق بمفهوم الرؤية الكونية worldview. حيث طاف كاتب هذا البحث على بعض مؤلفات سيد العطاس والتي تم من خلالها مناقشة مفهوم الرؤية الكونية. بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، اشتمل البحث على ثلاثة مباحث رئيسية، في المبحث الأول تم تقديم تعريف مختصر لسيد نقيب العطاس تضمن نشأته ومراحله التعليمية، خاصة المراحل فوق الجامعية والتي كان لها الأثر الواضح في نضوج أفكاره وذلك نتيجة لمعاصرته لبعض المفكرين الغربيين والمسلمين. كما تم ذكر بعض من أهم إسهاماته ومؤلفاته في مجال الفكر والحضارة الإسلامية والتي تمت ترجمة بعض منها إلى العديد من اللغات العالمية الأخرى. بينما تضمن المبحث الثاني على مفهوم نظرة الإسلام للكون worldview عند سيد محمد نقيب العطاس، حيث تم استعراض للكيفية التي تناول بها العطاس هذا المفهوم وماهية العناصر الرئيسية التي يقوم عليها مفهوم نظرة الإسلام للكون worldview. احتوى المبحث الثالث حجم الأزمة التي تواجه الأمة المسلمة والتي كان لها الأثر الكبير في بلورة وتغيير نوع الفكر الإسلامي.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث في أنه يعكس كتابات البروفسيور محمد نقيب العطاس ومحاولاته الجادة لتوضيح مدى أهمية تحديد المصطلحات والمفاهيم والألفاظ في زيادة الفهم والوضوح من جهة، وتحسين سبل التواصل المعرفي بين المتخاطبين من جهة أخرى، إذ من أهم مقدمات هذا التواصل فهم المصطلحات والمفاهيم، لكونها مفاتيح العلوم والمعارف والأفكار، خاصة إذا استحضرننا كون المفهوم هو المعنى الذي يحمل إلى الذهن بواسطة مصطلح معين، مما يجعله، من ثم خزاناً لمجموعة من المقولات الأساسية التي توظفها النظرية في خطابها العام والخاص، مع العلم أن الضرورة تقتضي فهم هذه المسألة من زاوية النظر إلى علاقة المفهوم، أو المصطلح، بالواقع والمحيط.

وتزداد أهمية تحديد المفاهيم والمصطلحات كلما تنبعت الأمة إلى ضرورة تحديد الأرضية الثقافية والفكرية التي ينبغي الوقوف عليها، وهي تحاول قدر الإمكان استئناف النظر في مداخل النهضة والتقدم، بنقد كل ما من شأنه تعطيل هذا النظر، وكذا النهوض المُعيق، بفعل عدة عوامل، لعل أبرزها: عدم توفر الأمة على موجبات التكوين العلمي والمعرفي المطلوب، خاصة إذا نظرنا إلى القضية المطروحة في علاقاتها بعدة مشكلات، تتقدمها مشكلة المثاقفة المفاهيمية والاصطلاحية التي برزت بشكل واضح وملح مع بروز الكتابات ذات الطبيعة التغريبية، التي لا ترى المخرج من هذه الوضعية المأساوية للأمة إلا من باب استعارة واقتراض ما عند الآخر من مفاهيم ومصطلحات ومناهج ونظريات لا تلائم طبيعة وخصائص وتركيبية المجتمعات المسلمة.

⁴ رضوان السيد، الصراع على الإسلام، ط:1 دار الكتاب العربي - بيروت 2004، ص 125

يرى بعض الباحثين في أن كل صور السلوك الإنساني يمكن إرجاعها إلى رؤية العالم، وهي نتيجة كافية بحد ذاتها للكشف عن أهمية رؤية العالم في الحياة الفردية والاجتماعية والنشاط العلمي، ووفقاً لهذه النتيجة يمكن تأكيد الدور المركزي لرؤية العالم في الأعمال اليومية للفرد. كما تعتبر رؤية العالم الإطار الوحيد الذي يمارس العقل الإنساني عمله فيه لاكتساب المعرفة، ولذلك فإن رؤية العالم (الرؤية الكونية) تعد الأساس لأية نظرية معرفية وأية جهد لاكتسابها أو توظيفها⁵.

ولعل من أبرز المصطلحات والمفاهيم التي نرى ضرورة إعادة تصحيح الفهم بخصوصها، مفهوم "نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة"، لما حمل من تأويلات وتفسيرات، خرجت من إطاره الصحيح، فضيق مجاله عند البعض، واستغل عند البعض الآخر، فكان حرياً تقديم إسهامات البروفيسور سيد العطاس في تصحيح المفاهيم والمصطلحات، حتى تصح رؤية المسلمين ونظرتهم، بل وتكون على قدر مهم من القدرة على تحديد مقومات استشراق المستقبل.

مقدمة تعريفية عن سيد العطاس

هو سيد محمد نقيب بن علي بن عبد الله بن محسن العطاس، ولد في منطقة بوغور (إندونيسيا) سنة 1931. يرجع نسبه إلى أسرة باعلوي من أشرف حضرموت. حصل في العام 1959 على الإجازة من جامعة الملايا بسنغافورة (قبل انفصال الجزيرة عن ماليزيا في العام 1965). ثم التحق بجامعة ماكغيل الكندية، حيث نال درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية في العام 1962. وأتيح له خلال تلك الفترة للالتقاء والتعرف على عدد من مشاهير العلماء والمفكرين، منهم المستشرقان ففرد كانتويل سميث وهاملتون جب، والمفكر الباكستاني فضل الرحمن، والإيراني سيد حسين نصر، والفلسطيني إسماعيل الفاروقي والياباني توشييهيكو إزوتسو. ثم نال درجة الدكتوراة من مدرسة لندن للدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن في مجال الفلسفة الإسلامية.

ولسيد العطاس سيرة علمية حافلة بوصفه أستاذاً جامعياً مرموقاً ومفكراً إسلامياً بارزاً في ماليزيا ومنطقة جنوب شرق آسيا، حيث أسهم في تخريج مجموعة كبيرة من الدارسين في مجال الفكر والحضارة الإسلامية والفلسفة الإسلامية، كما أسهم في تأسيس العديد من مؤسسات التعليم العالي بماليزيا، آخرها المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، حيث تولى إدارته منذ تأسيسه في العام 1991، وكان يشغل فيه أستاذاً كرسي الغزالي في الفكر الإسلامي منذ إنشائه في العام 1993، وقد منحه إياه السيد أنور إبراهيم نائب رئيس الوزراء وزير المالية الماليزي آنذاك وذلك نظراً لإسهامات سيد العطاس العلمية. وله كذلك مشاركات وإسهامات علمية وفكرية كثيرة في المؤتمرات والندوات داخل وخارج ماليزيا. أما أهم مؤلفاته في مجال الفلسفة الإسلامية:

1. Some Aspects of Sufism as Understood and Practised among the Malay.
2. The Mysticism of Hamza Fansuri.
3. Prolegomena to the Metaphysics of Islam.
4. The Concept of Islamic Education.
5. Islam and Secularism.

⁵ فتحي حسن ملكاوي، مرجع سابق، ص. 55

وعرفاناً لمكانته على مستوى العالم الإسلامي فقد اختاره الملك الراحل حسين بن طلال عام 1994 عضواً بمجمع آل البيت بالأردن، كما منحته جامعة الخرطوم الدكتوراة الفخرية عام 1995 .

مفهوم نظرة الإسلام للكون Worldview of Islam عند سيد العطاس

في مقدمة كتابه "Prolegomena to the Metaphysics of Islam" يذكر العطاس بأنه من المنظور الإسلامي فإن "worldview" لا تعني نظرة العقل إلى العالم المادي وإلى الارتباط التاريخي والاجتماعي والسياسي والثقافي لدى الإنسان في ذلك العالم، كما موضح ذلك في التعبير باللغة العربية للمفهوم "نظرة الإسلام للكون". ويصبح من الخطأ الإشارة إلى مفهوم "worldview of Islam" بـ "نظرة الإسلام للكون". ويبرر المؤلف بأن ذلك يرجع إلى أن ما تحتويه كلمة "نظرة" يختلف عن محتوى "worldview of Islam" وبأن الأخيرة لا تعتمد أو لا تقوم على الخيال الفلسفي الذي يتشكل أساساً من ملاحظة بيانات التجربة المحسوسة وما يمكن رؤيته أو مشاهدته بالعين المجردة، كما أنها لا تقتصر على الكون فقط وهو عالم الخبرة المحسوسة وعالم المخلوقات⁶.

ويضيف بأن استعمال هذه العبارات في الفكر العربي المعاصر إنما يعكس فقط حجم التأثير المسبق بالمفهوم الغربي العلماني الحديث والذي يقتصر على العالم المحسوس والخبرة المحسوسة. لذلك فإن مفهوم "worldview of Islam" تشتمل على كل من جانبي الدنيا والآخرة، والتي يكون فيها الجانب الدنيوي مرتبطاً بطريقة وطيدة وغير منفصلة عن جانب الآخرة الذي يمثل الجانب الأهم في هذه العلاقة بينما يعتبر الجانب الأول من هذه العلاقة "جانب الدنيا" بمثابة المطية والتجهيز والاستعداد لجانب الآخرة⁷.

وفي سبيل الوصول إلى المفهوم السليم لـ "worldview of Islam" تناول المؤلف معنى كلمة reality بأنها لا تعني المعنى الوارد في قواميس ومعاجم اللغة العربية بأنها "واقعية" والاستخدام الأكثر شيوعاً هو كلمة "واقعي" والتي تشير فقط إلى الأحداث والوقائع factual occurrences. لكنه يرى بأن كلمة reality تعني "حقيقة" وبأن reality تمثل جانباً واحداً فقط من الجوانب العديدة لكلمة "حقيقة"⁸.

ولخص سيد العطاس معنى worldview، حسب المنظور الإسلامي، بأنها رؤية الحقيقة والحق vision of reality and truth والتي تبدو أمام عين عقلا our mind's eye والتي تكشف ماهية الوجود لأنه عالم الوجود في كليته الذي يتصوره الإسلام. وبذلك فإنه يقصد بـ "worldview" رؤية الإسلام للوجود.

⁶ Al Attas, S.M.N. Prolegomena to the Metaphysics of Islam: An Exposition of the Fundamental Elements of the World View of Islam. Kuala Lumpur: Prospecta, 1995. P.1.

⁷ Ibid, P.1

⁸ Ibid, P.2.

"it is the vision of reality and truth that appears before our mind's eye revealing what existence is all about; for it is the world of existence in its totality that Islam is projecting. Thus by 'worldview' we must mean ru'yat al-islam lilwujud"⁹

أما في كتابه "مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية" فإن سيد العطاس يؤكد على أن "الرؤية الإسلامية للوجود" لا ينبغي أن تفهم بوصفها قائمة على ثنائية، على الرغم من أنها تنطوي على عنصرين، إلا أن أحدهما مستقل وقائم بذاته والآخر تابع له ومعتمد عليه في وجوده. وأحدهما مطلق والآخر نسبي، وأحدهما ذو وجود حقيقي بينما الآخر مجرد تجل له، وبأن الحقيقة الواحدة التي ترجع إليها القيم الإسلامية أن كل جهد وسعي للتغيير والتطور والتقدم يقوم به الإنسان المسلم فرداً أو جماعة إنما هو محكوم دائماً "بالرؤية الإسلامية للوجود"، ومصدرها القرآن الكريم الذي يعبر عن غائية الوجود وكماله وتأكيد لهما وبأن الإسلام يمثل تجسيداً لكمال الوجود وغائيته على مستوى الظاهرات¹⁰.

أما بشأن تأثير الحضارة الغربية على بلورة الرؤية الإسلامية للوجود، فقد ذكر سيد العطاس أن الحضارة الغربية قد كرسست جهودها الفكرية على غرس العناصر الرئيسة للرؤية الغربية في العقل المسلم، وقد تجسد ذلك على مستوى تدريجي عن طريق تبني أنظمة التعليم والتربية والتي قامت عليها مفاهيم المعرفة¹¹.

ويضيف سيد العطاس في كتاب آخر، أن مفهوم "رؤية الإسلام للوجود" يشتمل على مجموعة من العناصر الأساسية

المهمة، أهمها:

1/ طبيعة الإله nature of God

2/ معنى الدين nature of religion

3/ طبيعة المعرفة Nature of Knowledge

4/ طبيعة الوحي (The Holy Quran) nature of Revelation

5/ طبيعة الخلق nature of His Creation

6/ طبيعة الإنسان nature of Man

7/ طبيعة ومعنى السعادة meaning of Happiness

8/ معنى مفهوم العدل meaning of justice

9/ معنى التعليم والتربية¹² meaning of education

هذه العناصر وغيرها من المفاهيم الأساسية الهامة الأخرى والتي تدخل في فهم رؤية الإنسان للوجود تعمل كمبادئ

متكاملة لتضع كافة الأنظمة الأخرى المتعلقة بمعنى الحياة ومعاييرها في نظام متسق ومتحد ليشكل بالتالي رؤية ومبادئ

⁹ Ibid, P.2

¹⁰ سيد محمد نقيب العطاس، مداخلات فلسفية، ص: 109 - 110

¹¹ نفس المصدر، ص. 125

¹² Al Attas, S.M.N. Prolegomena to the Metaphysics of Islam: An Exposition of the Fundamental Elements of the World View of Islam. Kuala Lumpur: Prospecta, 1995.

للحق والحقيقة. وبالتالي يرى سيد العطاس ضرورة غرس هذه العناصر الأساسية المرتبطة برواية الإسلام للكون والإنسان والوحي في العقل المسلم وذلك عبر الأنظمة التعليمية والتربوية، والتأكيد على الفهم السليم لهذه العناصر وتكاملها لدى الفرد المسلم. ونستعرض فيما يلي بعض من تلك العناصر:

أ/ مفهوم الدين والإسلام

يرى المؤلف أن مفهوم كلمة "دين" عند المسلمين تختلف عن مفهوم كلمة "religion" كما تم فهمها ثم تفسيرها على مدار التاريخ الديني الغربي. وارجع المؤلف كلمة "دين" إلى جذور الكلمة الأصلية والمشتقة من الجزع اللغوي العربي "د، ي، ن) والذي له دلالات أساسية متعددة متناقضة تارة ومتداخلة على مستوى المفهوم الكلي. ولخص المعاني الأساسية لكلمة "دين" في أربعة أوجه رئيسية هي:

1/ المديونية: إن الفعل "دان" مشتق من كلمة "دين" وهو معنى أن يكون الإنسان مديناً، بالإضافة إلى معانٍ أخرى ذات علاقة بمعنى الدين. وفي حالة أن يكون الفرد في حالة دين أو دائن، فينبغي على ذلك الشخص التقيد بالنظم واللوائح والقوانين التي تنظم وتدير مواضيع وقضايا الديون، كما يخضع أيضاً لصاحب الدين المسمى دائناً. كما استرسل المؤلف في الاستخدامات الأخرى لكلمات أخرى مشتقة من الفعل "دان" مثل "ديان" "مدن" "مدينة" "مدن" و غيرها. ويستخلص من هذه المشتقات من الفعل "دان" وحده صورة لحياة اجتماعية حضرية يحكمها قانون ونظم ولوائح وحاكم. وعلاقة تلك الاستخدامات من وجود علاقات أو رابط ما بين الدائن والمدين¹³.

2/ الحكم: فإن الله هو الحكم الأعلى والديان " وهو مالك يوم الدين أو يوم الحساب.

3/ الاستسلام: وهو استسلام عن وعي وإرادة، وإلا فلن يكون استسلاماً حقاً.

4/ الفطرة

ب/ طبيعة الإنسان:

يرى سيد العطاس أن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة double associate فهو روح وجسد في الوقت نفسه وهو كذلك كائن مادي وعقل معاً. أما مستقر العلم والمعرفة في الإنسان فهو النفس والقلب والعقل. ومن كون أن الإنسان قد عرف الله سبحانه وتعالى من حيث وحدانيته المطلقة (في الميثاق الذي أخذه عليه في الآية " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " حيث اعترف بأن الله هو ربه الحقيقي. (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف: 172). وبما أن الإنسان بطبعه النسيان، فقد أدى ذلك إلى عدم قيامه بواجبه على الوجه الأكمل وتحقيق الغاية من وجوده على الرغم من شهادته على حقيقة الميثاق والذي يقتضي منه طاعة أوامر الله واجتناب نواهيه. مستنداً بالآية (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) (115: طه) .

ونظراً لطبيعة الإنسان المزدوجة، فإن للإنسان نفسين: النفس العليا (الناطقة) والنفس السفلى (الحيوانية). وعندما أعلن الله ربوبيته للإنسان فإنه خاطب النفس الناطقة وبالتالي فإن النفس الناطقة هي التي تعرف الله. ويضع سيد العطاس

¹³ سيد محمد نقيب العطاس، مداخلات فلسفية، ص: 79 - 86

شريطة إيفاء الإنسان بالعهد الذي قطعه مع ربه يجب على النفس الناطقة أن تفرض سيادتها وتمارس سلطتها على النفس السفلى التابعة لها. مضيافاً بأن السلطان والسيادة اللذين تمارسهما النفس الناطقة على النفس الحيوانية هما في الحقيقة الدين ذاته، وليس خضوع النفس الحيوانية الواعي واستسلامها الإرادي للنفس العليا شيئاً آخر سوى الإسلام¹⁴.

ويرى سيد العطاس أن للدين والإسلام علاقة مباشرة وفاعلة بحرية النفس الناطقة، وذلك بما يؤديه من مقام الإحسان في سلوك الإنسان وفعله. وتعني تلك الحرية: القوة والوسع في تحقيق العدل مع النفس الناطقة والذي يشير إلى تأكيد واستمرار الميثاق الذي قطعه تلك النفس مع الله سبحانه وتعالى. وفي مفهوم العدل يشير المؤلف إلى أنّ العدل في الإسلام ليس ما يشار به إلى تلك الأحوال التي تقتصر على العلاقة بين شخصين أو طرفين أو بين مجتمع ودولة أو بين الملك والرعية. مضيافاً أن المسلم الحقيقي أو خليفة الله في الأرض ليس محكوماً بالعقد الاجتماعي ولا هو بالذي يتبنى نظرية العقد الاجتماعي، إلا أن العقد الذي يلتزم به إنما هو عقد فردي يمثل العقد الذي قطعه نفسه مع الله سبحانه وذلك أن هذا الميثاق قد تم مع كل نفس بمفردها.

ج/ طبيعة المعرفة

يذكر سيد العطاس أن هنالك بيانات وشروح كثيرة عن المعرفة في الإسلام أكثر من أي دين أو ثقافة أو حضارة أخرى، وهذا يعود للمكانة العليا التي أضفاها الله سبحانه وتعالى على العلم في القرآن الكريم والوظيفة الكبرى التي أناطه به. مضيافاً مثلما أن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة ومكون من نفسين فإن المعرفة صنفان:

الصنف الأول: هو غذاء وحياة للروح وهو ما يعطيه للإنسان من خلال الوحي، وهو يتمثل في القرآن الكريم وبأن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) هو المثال للمعرفة بذلك العلم الأول الحق وبأن سنته هي الأخرى جزء من تلك المعرفة. ولكن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يمنح أوليائه من عباده علماً لدنياً وحكمة تنزل على الإنسان خاصة فضلاً منه وذلك وفقاً لمراتبهم من الإحسان. وبأن الإنسان لا يحصل على هذا النوع من المعرفة (العلم اللدني والحكمة) إلا بالذوق أو الكشف من خلال عبادته وإخلاصه لله تعالى، ويتوقف ذلك على فضل الله وكرمه على الإنسان ومدى الاستعداد النفسي والطاقة الروحية المودعة في الإنسان لتلقي تلك المعرفة. فإذا تمت هذه المعرفة وفقاً لما تأمر به الشريعة من شأنها أن تزيد المرء بصيرة بمعرفة الله سبحانه وتعالى¹⁵.

الصنف الثاني للمعرفة: هو الزاد الذي يتزود به الإنسان في الحياة في سياق السعي لتحقيق أهدافه العملية. ويتعلق بمعرفة فنون العلوم ويتم تحصيله بواسطة التجربة والملاحظة والبحث، وهي معرفة استدلالية استنباطية.

ويرى سيد العطاس أنّ الصنف الأول من المعرفة يختص بمعرفة الحقائق الموضوعية اللازمة لهداية البشرية وبأنه ما يهبه الله للإنسان بواسطة الوحي المباشر، بينما يتم الصنف الثاني من خلال النظر العقلي والتأمل الفكري والبحث بناءً على تعامل الإنسان مع المحسوسات والمعقولات والتي يحصل عليها الإنسان بواسطة كسبه ولغرض عمله. وبأنّ الصنف الأول للمعرفة يعتبر القاعدة والأساس للصنف الثاني من المعرفة¹⁶.

¹⁴ سيد محمد نقيب العطاس، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، ص. 162

¹⁵ نفس المرجع أعلاه، ص. 166

¹⁶ نفس المصدر، ص. 167

3/ حجم الأزمة المعرفية وتحدياتها

يؤكد سيد نقيب العطاس أنّ الأمة الإسلامية تواجه تحدياً أكبر من مواجهتها للحضارة الغربية، حيث يتمثل ذلك التحدي في " تحدي المعرفة". والمعرفة لدى سيد العطاس ليست هي المعرفة كما هي معروفة بمعناها الذي يقابل الجهل، وإنما هي المعرفة كما تم فهمها وتصورها في العالم بواسطة الحضارة الغربية، مضيفاً بأنّ تلك المعرفة هي نفسها أصبحت مشكلة، وذلك بفقدانها غايتها الحقيقية بسبب تصورها غير القويم ، وحيث أصبحت تلك المعرفة تتسبب في الاضطراب في حياة الإنسان بدلاً من أن تكون سبب أمن وسلام وعدل¹⁷.

ويضيف بأنّ المعرفة بشكلها العام، ليست معرفة حقيقية وإنما هي تفسير وتأويل للحقائق من خلال منشور الحضارة الغربية ووفقاً لرؤيتها الكلية للوجود ، ولأنها الحضارة التي لديها أكبر الأثر في صياغة المعرفة ونشرها. ويقصد سيد العطاس بالحضارة الغربية تلك الحضارة التي تولدت عن الانصهار التاريخي لثقفتي الإغريق والرومان وقيمهم وتطلعاتهم ثم اندماجها مع اليهودية والمسيحية. وأضاف بأنّ الحضارة الغربية استمدت الآتي:

من الإغريق: العناصر الفلسفية والمعرفة المنهجية "ابستمولوجيا" وقواعد المعرفة والأخلاق والجمال.

من الرومان: فن إدارة شؤون الحكم والدولة وقواعد القانون

من اليهودية والمسيحية: مبادئ العقيدة الدينية.

كما استمدت الحضارة الغربية من الإسلام ميدان المعرفة وغرس الروح العقلية والعلمية في البحث ، ولكن قد تمت إعادة صياغة تلك المادة الإسلامية في بوتقة الحضارة الغربية. وأضاف سيد العطاس بأنّ ذلك الانصهار والاندماج الذي نتجت عنه الحضارة الغربية قد نتجت عنه حالة من الثنائية التي طبعت الرؤية الكلية للوجود كما طبعت القيم في ثقافة الغرب وحضارته. وبأنّ الحضارة الغربية تقيم نظرتها للواقع والحقيقة ليس على أساس من معارف الوحي والإيمان الديني، وإنما على أساس تقاليد ثقافية تستمدّها من مقدمات فلسفية مبنية على تصور للحياة الدنيا محوره الإنسان بوصفه كياناً مادياً وحيوانياً ناطقاً، ولذلك فإنّ القيم والرؤية الكلية للوجود التي توجه تلك الحضارة تخضع لعلمية مستمرة من المراجعة والتغيير والتعديل

18

نتيجة لذلك يرى سيد نقيب العطاس أنّ روح البحث العلمي في ثقافة الغرب وحضارته قد نشأت مترافقة مع خيبة أمل في الدنيا وذلك بسبب حبها المفرط والمتزايد للدنيا وحياة الإنسان الدنيوية. لذلك نجده يربط روح البحث العلمي بالشك والتوتر الداخلي (وجعل ذلك دالة طردية) وسبب هذا الشك هو روح ورغبة لا تشبع وراء الاكتشافات العلمية المتواصلة والمتجددة. وبأنّ الإطار الذي تفهم فيه مفاهيم التغيير والتقدم هو دائماً إطار دنيوي يقدم باطراد رؤية مادية للوجود¹⁹.

الناظر إلى تحليل سيد نقيب العطاس يرى إرجاعه إلى أنّ سبب الأزمة إلى "المعرفة"، غير إنّ بعض الباحثين يرى بأنّ الأزمة تتمثل في مبررات أخرى. على سبيل المثال، يرى البعض بأنّ الأزمة التي نعاني منها ، ليست أزمة منهج ، وإنما

17 سيد محمد نقيب العطاس، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، (فجر أولونغ: ماليزيا، 2000)، ص. 155

18 نفس المصدر، ص 156

19 نفس المصدر، ص 158

أزمة فهم للمنهج ، وأزمة تعامل مع المنهج. أزمة تنزيل للمنهج على الواقع ، وتقويمه به .. فالإسلام بمصدره : الكتاب والسنة، والسيرة كتنزيل عملي وأنموذج، هو المنهج، وأن المعايير للواقع، والتحديد للخلل، إنما يكون في ضوء الكتاب، والسنة، والسيرة، وأن أية معاودة للنهوض، واستئناف السير، مرهون بتقويم الواقع، بمنهج الكتاب، والسنة، والسيرة. فالإسلام هو المنهج، وهو الصراط، وهو السبيل، وهو الحجة، وهو موثق الاستمساك والتلقي، والمعايرة، واكتشاف الخلل، وتحديد الأزمة، أو هو بكلمة جامعة: الدين، الذي يحكم تصرفات الإنسان، أو يدين له الإنسان بتصرفاته، ونشاطه، لأن أي عدول عن هذا، أو تعديل له - والتعديل هو عدول في الحقيقة، عن بعض الجوانب، كما أسلفنا - إنما يعني بالضرورة استدعاء مناهج ونظم معرفية، ومسالك ومعايير (الأخر) وليس من (أخر) الآن، سوى المنهج الغربي، بوسائله، وأدواته، ونظامه المعرفي.²⁰

حول قضية الأزمة التي تواجه العالم الإسلامي، يرى رضوان السيد أن العالم الفكري الإسلامي المعاصر لا يمتلك رؤية للعالم، لا بمعناه السياسي أو الاستراتيجي. فإن ذلك لا يشكل فقط جانباً من جوانب الأزمة في علاقة العالم الإسلامي بالعالم، بل ينم أيضاً عن قصور معرفي واضح يصب في أصل هذه الأزمة، والتي تشمل الوعي بالعالم وطرائق التعبير عنه.²¹

من جهته، يرى عبد الحميد أبو سليمان بأنه ومن خلال فهم العلاقة بين الرؤية الكونية ومناهج المعرفة ومناهج التربية أنه بالإمكان إعادة النظر وإعادة صياغة هذه الرؤية والمناهج لتعكس واقع العالم الإسلامي والاستجابة لحاجات الأمة وظروفها وإمكاناتها والتحديات التي تواجهها، حتى يمكن إعادة بناء العقلية النفسية لأبناء الأمة التي يقوم عليها بناء المجتمع وأداء أفراد ومؤسساته، ويرسم طريق عطائه العمراني والحضاري. وأن أي إصلاح لا يقوم على فهم كلي شمولي لهذه العلاقات يكون إصلاحاً عشوائياً، لا يكتب له النجاح وتحقيق أهدافه السياسية. منادياً بأنه من الضروري إعادة النظر في منهجية التفكير بغرض إعادة التوازن فيها بين دور النص للاستجابة للهداية الإلهية والإفادة من إيجابيات مفردات التراث وعبر التاريخ ودروسه، وبين دور العقل والمعرفة الإنسانية في معرفة الواقع وفهم العلل والطبائع الكونية في الأنفس والمجتمعات والكائنات لتسخيرها، وتنزيل مواقع الهدى الإلهي منها موقعها الصحيح في ترشيد الغايات والقيم والمفاهيم والأنظمة والممارسات، وتفعيل طاقات الإيمان ووازع الضمير وحس المسؤولية في أداء الفرد والمجتمع.²²

مضيفاً بأنه يجب أيضاً إعادة النظر في منهجية البحث والدرس والنظر العلمي والمدرسي لنتخطى المنهجية الجزئية النصية إلى المنهجية الكلية التحليلية المنضبطة التي تضع المفردات وأدوات النظر الجزئية في موضعها الصحيح بحيث يحيط الناظر بكليات الأوضاع والحالات والقضايا والطبائع، ويضع مفردات مكوناتها في موضعها الصحيح، وبأوزانها الصحيحة في سياقها الزماني والمكاني المناسب. ولا بد للأمة من استعادة رؤيتها الكونية القرآنية وإصلاح مناهج تفكيرها

²⁰ عمر عبيد حسنة، في كتاب الأمة، برغوث عبد العزيز بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، 43، 2005، ص 13.

²¹ رضوان السيد، الصراع على العالم والإصلاح والسياسات الدولية مرجع سابق، ص 21.

²² عبد الحميد أبو سليمان، العلاقة بين المنهجية والأداء التربوي في الفكر الإسلامي، جريدة الشرق الأوسط، مقال، العدد 8163، 4 أبريل 2001، www.aawsat.com/8163، زيارة الموقع بتاريخ 2010/10/11.

وتربيتها للتخلص من قصور الأداء، والتخلص من أمراض الفردية والتمزق والصراع، وأمراض السلبية والاتكالية لتنتهي إلى نور الهداية، وعز العطاء، وقوة الوحدة والعلم والإبداع.²³

خاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح جلياً بأن قضية "رؤية العالم" من القضايا التي أولاها المفكرون المسلمون اهتماماً ملحوظاً من النقاش والبحث، وذلك إيماناً منهم بأهمية هذا المفهوم، لأنّ الفهم السليم لهذا المفهوم أو المصطلح يمكن أن يؤدي في الأساس إلى تزويد الباحثين والمهتمين بالإطار العام الذي يمكن من خلاله فهم كل شيء، ويمكن لمفهوم رؤية العالم أن تسهم في تكوين فهم معين ومحدد وصياغة نظرية معرفية لتفسير الأشياء وذلك باستخدام العقل. كما يمكن الاستفادة من رؤية العالم باستخدامها أداة ووحدة تحليل للأفكار والمواقف والمؤسسات، ومقارنة ذلك مع رؤية الآخرين لنفس هذه الأشياء. كما يتبين للجميع أن المفكر سيد نقيب العتاس ومن خلال مؤلفاته التي تم الإطلاع عليها أنّه استطاع الغور في بحر هذه المصطلحات والمفاهيم الفلسفية (مثل رؤية الإسلام للعالم، رؤية الإسلام للوجود وغيرها من المصطلحات الأخرى) وطرحها بكل جرأة وعلمية تامة. وبأنه ومن خلال كتاباته والتي تتسم بالتعقيد اللغوي، عكس مدى فهمه وإلمامه بالكتابات والإسهامات السابقة في مجال الدراسات الإسلامية، وينعكس ذلك جلياً بتأثره بكتابات الإمام أبو حامد الغزالي مثل كتب "إحياء علوم الدين"، "المستصفى" وغيرها من الكتب الفلسفية الأخرى لعلماء الإسلام.

²³ نفس المصدر السابق

المراجع الأجنبية:

- 1/ Kant, Emanuel, Critique of Judgement, Translated by Werner, S. Pluhar. Indianapolis, Hachet, 1987
- 2/S.M.N. Al Attas, Prolegomena: An Introduction to the Metaphysics of Islam
- 3/ S.M.N. Al Attas, The Concept of Islamic Education, A Framework for an Islamic Philosophy of Education, Kuala Lumpur, the International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1999.
- 4/ S.M.N. Al Attas, Islam and Secularism. Kuala Lumpur, the International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1999.
- 5/ S.M.N. Al Attas, The Intuition of Existence, Kuala Lumpur, the International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1990.
- 6/ S.M.N. Al Attas, On Quiddity and Essence,. Kuala Lumpur, the International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1990.
- 7/ S.M.N. Al Attas, The Nature of Man and the Psychology of Human Soul,. Kuala Lumpur, the International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1990
- 8/ S.M.N. Al Attas, Degrees of Existence, Kuala Lumpur, the International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1994
- 9/ S.M.N. Al Attas, Islam and Philosophy of Science, Kuala Lumpur, the International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC), 1989.

المراجع العربية

- 10/ رضوان السيد، الصراع على العالم والإصلاح والسياسات الدولية، بيروت، دار الكتاب العربي، 2004.
- 11/ سيد محمد نقيب العتاس، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، فجر أولونغ: ماليزيا، 2000.
- 12/ عبد الوهاب المسيري، في أهمية الدرس المعرفي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ، 20، 2000،
- 13/ فتحي حسن ملكاوي، رؤية العالم والعلوم الاجتماعية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 42 - 43 شتاء 2006.
- 14/ فتحي حسن ملكاوي، رؤية العالم عند عبد الرحمن بن خلدون، ورقة قدمت إلى ندوة البعد الديني ومنزلته في تجربة ابن خلدون الفكرية التي نظمتها جامعة الزيتونة التونسية، تونس، فبراير، 2006..
- 15/ عبد الحميد أبو سليمان، العلاقة بين المنهجية والأداء التربوي في الفكر الإسلامي، جريدة الشرق الأوسط، العدد 8163، 4 أبريل 2001، www.aawsat.com/8163/
- 16/ برغوث عبد العزيز بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، 43، 2005 .

